سوسيولوجيا الرواية والمناهج النقدية المعاصرة

د/ ربيع محمد أستاذ محاضر

بمعهد العلوم الانسانية

المركز الجامعي تامنغست

المقدمة:

ان البحث في مضمون الرواية سوسيولوجيا يقتضي منا بداية التعرض إلى المناهج وتعريفاتها المتعددة في سياقها الاصطلاحي لمضمون واحد أو لعدة مضامين كما هو الشأن في اطلالنا كثر من الباحثين المتخصصين وتعريفاتهم لمنهج ما، كما هو الحال في تصنيفهم لمنهج النقد السوسيولوجي هل هو منهج للنقد البنيوي التكويني " أم هو منهج للنقد البنيوي الشلي. مثلا وان النقد السوسيولوجي الذي يعطى الأولوية لدراسة النص هل هو فرع من فروع سوسيولوجيا الأدب في مظهره الروائي أو المسرحي مثلا، وما مدى تمثل النقد موضوع البحث البنيوي وأدواته العلمية - ما هي المقولات النقدية التي يمارس النقد في ضوءها عملية النقد الأدبي؟ - هل اقتصروا على توظيف المنهج السوسيولوجي أم استجدوا بمناهج أخرى؟ - ما مدى تطبيق النقاد للمنهج البنيوي على النص الروائي¹⁴ تلك جملة من الإشكالات والفرضيات التي نحاول الإجابة عنها من خلال هذه المداخلة التي نتعرض فيها إلى النقاط التالية:

- 1- خصوصية المنهج والمنهج السوسيولوجي
- 2- سوسيولوجية الأدب الروائي ودوره الاجتماعي
- 3- رؤية نقدية لسوسيولوجيا الرواية

– خصوصية المنهج والمنهج السوسيولوجي

إن منهج النقد السوسيولوجي يسعى أساساً من أجل إقامة علاقة بين الإبداع الأدبي والمسرحي وبين المجتمع، إذ يسعى المؤلف من خلاله لأجل إظهار أبعاد الملامح الاجتماعية في أعماله بل أكثر من ذلك فإن المؤلف يحرص أيضاً على ضرورة إحداث التغيير في الوسط الاجتماعي. وبطبيعة الحال فإن هذا المنهج لا يعد جديداً ذلك أن نقاد القرن التاسع عشر أمثال هيبوليت تين ومدام دوستال وغيرهما سعوا من أجل ضرورة إظهار جوانب التغير والتأثر بين المجتمع وجوانب الإبداع، ومما سبق نستطيع القول: بأن اختلاف المنهج المسرحي لا مشاحة فيه و لم يترتب عليه تعدد في المضامين للمصطلح الواحد، إذ أن ريسين جولدمان رائد المنهج السوسيولوجي ارتبط اسمه بالبنوية التكوينية التي تعادل - أيضاً - نقد السوسيولوجي و هي قد تبلورت بشكل أساسي على يده، وتحاول أن تحلل البنية السطحية من النصوص رابطة إياه بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه سعى نقاد الاتجاه "السوسيولوجي" - إلى ضرورة أن تعكس الأعمال الأدبية والمسرحية الواقع الاجتماعي للمبدع وأن يمكن تداراً على أن يدرك صيرورة الصراع الاجتماعي، ويجسده في عمله بوسائله الفنية ومن هنا جاءت أولوية المضمون (الاجتماعي) على الشكل. بحيث يصبح الشكل وسائلاً جديد أو تحقيق المضمون في العمل الأدبي، وتصبح مهمة الناقد أو الدارس أساساً هي اكتشاف المضمون ومدى قدرة الكاتب على "عكس" قضايا الواقع الاجتماعي.

وعليه فالمناهج النقدية غيرت وجه المفاهيم التي سادت خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وفتحت الباب أمام بناء رؤية جديدة لما كان سائداً من قبل فظهرت دراسات حديثة معاصرة على رأسها الألسنية والسوسيولوجية و الأسلوبية البنوية و التفكيكية كما هو الشأن عند كل من تتيار وسوسير ، لذلك فإنه يمكن القول بان مناهج القراءة والتلقي والنقد السوسيولوجي الجديد أحدثت تغييرات في ذهنية الأدباء والنقاد جعلتهم يبدعون في تصور الواقع والتعبير عنه بمصادقية والانتقال من الاخيلية إلى الحالية أدت بهم الى تقاسم الدور مع الاجتماعيين والمؤرخين و الملاحظ لما احدثت تلك المناهج من التغييرات التي عرفتها أوروبا والتي لم تبق حبيسة الدراسات الغربية ،وكيف استطاع

الناقد العربي أن يتمثل تضاريسها المنهجية والإجرائية انطلاقاً من رؤية خاصة محاولاً بناء تصور نقدي يلائم خصوصية النص الأدبي العربي وعلى رأسه الخطاب الروائي. ولئن استطاع الفكر الغربي تمثل هذه المناهج المستخدمة ، فمن الطبيعي أن يفعل ذلك ما دامت نتاج تجربته و خلاصة تراكم معرفي تواصل خلال حقبة طويلة من الزمن، في المقابل نجد الناقد العربي في محاولة استيعاب هذه المناهج و المفاهيم لا يزال يتصارع و إياها من أجل صياغة عربية لها ،

— رؤية نقدية و سيولوجيا الرواية

لهذا المنهج نجد أمثال : يميني العيد ، وسعيد يقطين و عبد المالك مرتاض وغيرهم كثير غير أن هؤلاء — من وجهة نظري — برزوا في ميدان النقد العربي المعاصر، بالإضافة إلى اعتراف النقاد الذين اشتغلوا بميدان نقد النقد ، ولا يعني هذا أن النقد العربي لا يملك في ساحته إلا هؤلاء ، بل فعمت ذلك على سبيل الحصر من أجل التسهيل والاختصار.

وإذا أخذنا كمثال الناقدة يميني العيد ، التي تتناول الخطاب الروائي بالمنهج البنيوي في عدة دراسات لها ففي كتابها "في معرفة النص تتطلم من تحديد الخطوات التي يتخذها المنهج أثناء إجابتها عن السؤال "كيف يقارب المنهج البنيوي موضوعه الذي قد يكون النص الأدبي؟"¹ تذهب إلى أن المنهج يبدأ بتحديد البنية المراد دراستها ، أي النظر إلى النص كبنية مستقلة، يشترط عزلها عما هو خارج منها ثم تحلل عناصرها الداخلية. ولما كان موضوع الدرس هو النص الروائي ترى أن المنهج قد يتناول عناصر النص منها ، وقد يكتفي بالتركيز على البعض منها فقط ، ففي دراستها لرواية "رحلة غاندي الصغير" تقتصر بالتحليل على وظيفة الشخصية كصورة لنمط السرد الروائي ، ومن الوهلة الأولى تضع تصوراً عن الدراسة تقول : "إن النظر إلى الخطاب الروائي باعتباره نظاماً بنائياً مغلقاً يعني تقديم معرفة به في حدود الوظائف التي تشكل نظامه السردية أي يعني بالتركيب البنائي انطلاقاً من اعتبار النص كونا من الإشارات تعادل فيه مكونات العالم الروائي دورها الوظيفي ، وتحدد بالتالي هوية الشخصية بوظيفتها في العلاقات البنائية"²

" وهي في ذلك تنهج منهج بروب في مفهومه للوظيفة. وفي كتابها التعليمي "تقنيات السرد الروائي" تتناول الخطاب الروائي كبنية كلية بجميع عناصرها البنائية معتمدة المقولات السردية التي وضعها "تودوروف" فتقسم الرواية إلى قصة وخطاب ، ثم تحلل مكونات كل منها "3"، وفي الحاليين تسيير وفق الواجهة التي رسمتها لنفسها ، وبناء على ذلك تشيد بالمنهج البنيوي رغم طابعه العام والسريع، إذ تراه قد اتخذ مكانه ضمن الدراسات الأدبية بكشفه مميزات الشكل الأدبي و البنيات الداخلية محددًا طبيعتها العلمية خاصة، ومجال البحوث الأنثرو بوجية والأساطير في مقدمتها النقد الأدبي. "4" ورغم إشارات بالمنهج فإنها تعو بعض السس الكامن فيه محاولة إقامة رؤية خاصة تستند إليها أثناء الممارسة النقدية، مع مراعاة خصوصية الخطاب الروائي ،فنجدها تتساءل ما إذا كان المنهج البنيوي يضيء بنية النص فما بإمكان النقد الأدبي عامة والنقد العربي خاصة أن يكتفي بتفكيك النص والوقوف عند دلالات بنيته؟ "5" هكذا يمكنها إقامة رؤيتها ثم ممارسة عملياتها الإجرائية لأن المنهج الأدبي الممارس في كشف دلالات النص لا يمكن الوصول إليها إلا برؤية الخارج في الداخل .وتتعمق في دورها بكون اللغة ذات طبيعة اجتماعية كما وصفها "دوسوسير " ، ومن ثم تطلب من الناقد أن ينظر إلى هذا الخارج في الوقت الذي ينظر فيه إلى الداخل "6" ففي اعتبارها أن تحليل النص ومعرفة بنيته بكشف دلالاته ، والمنطق الذي يربط علاقاتها غير كاف ،لأن هذه الدلالات لا بد أن رؤيتها داخل البنية الثقافية والاجتماعية. وترى ذلك ضروريا إذا تعلق الأمر بسعد العربي الذي لا يمكنه اتخاذ النقد البنيوي المقتصر على البنية المعزولة مسارا له. لكنه في حله الذي بلورة باستطاعتها إقامة العلاقة بين داخل النص وخارجه "7". تبدو رؤيتها واضحة في المقدمة التي خصت بها دراستها رواية "رحلة غاندي الصغير " أثناء حديثها عن الشخصية التي تحددها ،ليس فقط بكونها مجرد نسيج من الكلمات بلا أحشاء بل لو اعتمد الناقد التأويل لاكتشف أن لها طابع حياة هو حياة الرواية ككل.وتصبح المسألة أكثر أهمية إذا تعلق الأمر بالرواية العربية ، إذ يصبح الخطاب بإرجاعه إلى مرجعيته الاجتماعية ذا أهمية قصوى ، لأنه هو الذي يمنح النص خصوصيته التي لو أهملت لتحول النص بغيابها إلى

مجرد بنية هيكلية خاوية، وتصير الرواية العربية مجرد قالب مستعار يملؤه الكاتب بحكاية ما، "8" هذا التصور الذي تنطلق منه الناقدة يعيدنا إلى إثارة إشكالية الشكل الروائي وهي علاقة الرواية العربية بالرواية الغربية، غير أن يمني العيد تربط القضية بالنقد الذي عليه أن يكشف خصوصيات النص، كما تتصورها هي باعتبار الخطاب الروائي العربي بدأ يتميز بنوع من النضج البنائي يسير به نحو التحرر من تقليد الخطاب الروائي الغربي الذي تراه استمر طويلا يكبل الرواية العربية. إذن فالناقدة يمني العيد تستفيد من المنهج البنيوي وتقسّمها إلى مرحلتين. في الأولى تطبق المنهج البنيوي، تبدأ بتحديد البنية العامة للنص، ثم تحدد عناصرها مع رصد العلاقات التي تربط فيما بينها. في المرحلة الثانية تعتمد إلى ربط البنية الدالة بالبنيات التي تمثل مرجعياتها المعرفية والاجتماعية مستعينة بالمنهج البنيوي والتكثيفي، كما عرف عند "غولدمان" و توضح منهجها في قولها: "ليس النص داخلا معزولاً عن خارجه هو مرجعه، الخارج هو حضور في النص ينهض به عالما مستقلا كما يساعد على إقناعنا أدبياً، متميزاً ببنية لها هو نسق هذه البنية هيأتها ونظامها. وعليه فإن النظر في العلاقات الداخلية للنص ليست إلا مرحلة أولى تليها ثانية، يتم فيها الربط بين هذه العلاقات الدالية وبينها وفي الوقت نفسه النظر في هذه العلاقات في النص "9"

هناك ناقدة أخرى اهتمت بالمنهج البنيوي كوسيلة لتحليل نص الروائي، إنها الناقدة "سيزا أحمد قاسم"، تصرح في كتابها "بناء الرواية" منذ البداية بأنها تتبنى المنهج في دراستها المقارنة " لثلاثية نجيب محفوظ " فنقول: "وفي ضوء التزامنا بالدراسة النقدية التطبيقية، كان لابد لنا أن نستند إلى المنهج البنائي حيث أن السمات التي نريد أن نرصدها بين الأعمال موضوع الدراسة هي سمات تتعلق بالشكل والبناء وهذا المنهج سماه "رينيه ويلك" في كتابه نظرية الأدب المنهج الداخلي".¹⁰ وتحدد المنهج الداخلي بالمنهج الذي يتعامل مع النص الأدبي مباشرة كبنية واحدة معزولة عن مؤلفها وبيئتها التي كتبت فيها باعتبارها كيانا له عناصره الخاصة، لا بد للناقد التعامل معه على هذا الأساس. "11" وإذا اختارت المنهج البنيوي فلأنها لا تولي اهتماما لما سمته الناقدة يمني العيد بالخارج وألحت

على ضرورة دراسته الخارج الذي يجعل من النص كائنا حيا متطورا بتعبير " سيزا قاسم" فرغم اعترافها بأهميته تبعده عن دراستها. بناء على هذا الهدف الذي تسعى لتحقيقه ، وهو مقارنة رواية نجيب محفوظ بالرواية الفرنسية الواقعية من أجل كشف أوجه الشبه والاختلاف الخاصة بالتقنيات والأساليب و باقي أشكال السرد هذا الهدف تنتشده باعتمادها على المقولات النقدية البنيوية كما جاءت عند " جرار جينيت "، واللغوية عند الروسي " بوريس "12. وتختلف عن الناقدة" يمني العيد " التي لم تكتف بتحليل العناصر البنائية للنص ورصد سماتها وراحت تربطها بالبنية الاجتماعية والثقافية ،محاولة كشفها داخل النص . من النقاد هناك الذين استفادوا من المنهج البنيوي في تحليل الخطاب الروائي الناقد " سعيد يمين " الذي لم يكتفي بمجرد تطبيق المنهج، بل حاول وضع رؤية خاصة به ،أثارت العديد من الأسئلة بل استطاع أن يضيف بعض المصطلحات الجديدة ربما أراد توسيع استعمالها بين النقاد العرب ، وفعل ذلك في العديد من كتاباته خاصة تلك التي تناولت النصوص السردية وبنسج الأولي الخطاب الروائي. ففي كتاب " القراءة والتجربة "يتناول الخطاب الروائي الحديث بالتفصيل من حيث المنهج البنيوي بهدف كشف مكوناته البنيوية ، يقول في مقدمة الكتاب : "تروم هذه الدراسة أن تكون جيدة على مستويين :البحث في مكونات الخطاب الروائي البنيوية و "تسمية الخاصة بالسرديات البنيوية وهي المستوى الثاني في الدراسة. "13" كان هاجسه الكبير وهو يقتبس الأدوات والمفاهيم النقدية ،تجنب الوقوع في مجرد إسقاط المنهج على المتن العربي . بل حاز بسببها على بلورة رؤية لها خصوصية التجربة العربية ، تقوم على أساس الحوار والانفتاح على إنجازات الغربية."14" وهكذا راح يلخص طريقته منطلقا من تحديد مكونات الخطاب والحوار الذي يحكمها ثم يبني عليه تحليله وقراءته للعناصر الأخرى وفي الأخير يركب القراءات التي خصت مختلف الخطابات الروائية الغربية من خلال أهم إشكالات التجربة النقدية. لقد قلنا أنه حينما كان يؤسس لرؤيته ،لم يكتفي برسم منهجه التحليلي ،بل حدد العناصر التي يتناولها بالدرس ،وهي الانزياح السردى و الميثاق السردى ثم أضاف مفهوما جديدا هو الخلفية النصية ،الذي أثار أسئلة منهجية كثيرة ، ومع ذلك فإن الناقد " سعيد يقطين" يثير

القضية ،ويستفز النقد العربي من أجل خلق حوار نقدي عربي ،يسعى إلى وضع نظريات ومفاهيم تتمكن من قراءة الخطاب الروائي العربي في ضوء التغيرات الحديثة على جميع المستويات. في كتابه "تحليل الخطاب الروائي" يتبع المنهج البنيوي ،حيث يعلن عن وسيلة دراسته في تمهيد الكتاب "نسلك في تحليلنا هذا مسلكا واحدا ،ننطلق فيه من السرديات البنيوية "15" وأثناء طرح التصور الذي يتبناه حول الخطاب الروائي يثير اعتماد تقسيم "تودوروف" و "جينيت" الثنائي للقصة والخطاب واكتفائه بتحليل المستوى النحوي. أي اهتمامه بالدراسات النحوية فقط كمظهر نحوي ،ثم أضاف مفهوم النص ليدرس فيه المستوى الدلالي ،مما يجعله ليس بمعنى الخطاب كما هو الحال عند "جينيت" و"تودوروف". "16"

و هكذا لا يدرس إلا من وجهة النظرية ،والصوت في إطار العلاقة بين الراوي والمرسل له ،ولما كان يعيب من أسدته وضعها حول البنيات الثقافية والاجتماعية ،فإنه يتجاوز المظهر النحوي إلى المظهر الذي سماه تودوروف بالمستوى الدلالي في كتابه "الشعرية" مجيبا عن السؤال كيف يدل نص على شيء ؟وعلى ما يدل ؟.وللانتقال من المستوى الأول إلى المستوى الثاني يستعين بسوسيولوجية النص عند "زيمبا" وهنا يعترف بأنه كان :مقيدا بالسرديات البنيوية "17". ويبين أسدته النظرية التي ستكون خلفية العملية الإجرائية فيقول:"بهذا العمل وجدتي أوسع تحليل نفس الدونوات ،الخصائص مع الحفاظ على الانسجام النظري ، لذلك وجدت العمل الذي أنهجه ينسجم مع سرديات الخطاب ،كما نجدها عند السرديين "جينيت و تودوروف" ومع سوسيولوجيا النص التي سماها "زيمبا" ،دون أن أتبنى أطروحاته أو أطبقها من الخارج .إنني أستفيد مما يقوده دون أن أحرم ذلك في التصور الذي أنطلق منه."18"

و مهما يكن فإن المنتبع لدراسات الناقد "سعيد يقطين" ،سيلاحظ حتما أن الناقد لا يكتفي بمجرد نقل المنهج البنيوي أو مناهج أخرى ثم إسقاطها على النص الروائي العربي ،إنما يستفيد منها مجتهدا في إيجاد مفاهيم جديدة تؤسس لقيام نقد عربي جديد باستطاعته مواكبة تطور الخطاب الروائي العربي الذي بدأ يبحث عن بناء يستوعب خصوصية التجربة

العربية. هناك ناقد آخر لا يمكن إهماله هو الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" الذي شغل الساحة النقدية العربية عامة والجزائرية خاصة بدراساته الجريئة، وهو في استنقازاته التي يحدثها بمقولاته النقدية ومفاهيمه الجديدة المبنية على الرؤى النقدية الحديثة، يشبه الناقد "سعيد يقطين". وذلك من أجل إثارة الجدل النقدي العربي، وإخراجه إلى ساحة المحاور ووضعه في الإطار الذي يمكنه من مواكبة النقد العالمي، أو محاولة النهوض به على الأقل. إن "عبد المالك مرتاض" ككل النقاد العرب الذين شغلتهم الدراسات الحديثة، مكنته من الاطلاع على المناهج النقدية الغربية والاستفادة منها. حاول في العديد من دراساته استلهاها وتطبيقها في تحليل نصوص أدبية تراوحت بين الشعر والسرد، والذي يهمنا هو الدراسة التي أجراها على رواية "نجيب محفوظ" "زقاق المدق" عنونها بـ "معالجة تفكيكية سمائية مركبة" معلنا عن النهج الذي يستتير به، ولكن أثناء شرحه لرؤيته النقدية في خدمة كتاب يشير إلى أن تحليله يجري في التيار البنيوي السمائي تجنباً للانزلاق إلى الدار الاجتماعية النفسية، ضارباً عرض الحائط المناهج التقليدية التي يراها قد أفست ولم تعد صالحة في هذه المرحلة بعد أن أدت ما عليها. "19" ورغم أن الرواية التي يتناولها بالدراسة بدرجة تحت رواية الواقعية التي تتطلب منهجاً بنيوياً توليدياً إلا أنه يراه غير دقيق، يتراوح بين "التيار الاجتماعي ولا يثبت على اتجاه بعينه، لذلك يعدل عن البنيوية التوليدية، ويؤثر بنيوية طعنها كما تقول بتغيرات حدائثة أخرى، في مقدمتها السميولوجيا التي وظفها في تحليل الشخصيات وبعض الأدوات اللسانية، بينما كان المنظور البنيوي وسيلة للكشف عن البنى العميقة والفن الحكمة في الخطاب السردي." 20" ونجده في موضع آخر من نفس الكتاب يشير إلى اعتماد المنهج الإحصائي مسترسلاً في الدفاع عنه تجاه بعض الإشكالات التي تحيطه، معتبراً إياه أساسياً في معرفة: "بشيء من الدقة مدى تواتر هذه الشخصيات مما يجعلنا بناء على نتائج الإحصاء في حل من تحديد الشخصية المحورية أو الشخصيات المحورية جملة واحدة. "21" والملاحظ أن "عبد المالك مرتاض" يطيل في شرح موقفه ووجهة نظره من المنهج الإحصائي، بينما يكتفي بالإشارة العابرة فقط حين يتحدث عن النهج الذي تبناه في تحليل

الرواية ، وهو المنهج البنيوي السميائي ، وينسى المنهج الذي عنون به الكتاب "التفكيكية السميائية" فلا يشير إلى التفكيكية قط على الأقل في مقدمته التي وضح فيها وجهة نظره. وهكذا لا يلتزم "عبد المالك مرتاض" بالمنهج البنيوي والسميائي ، بل يركب بين عدة مناهج وهو بهذا العمل يكاد يكون الأول من بين النقاد العرب الذين يميلون دوماً إلى التركيب ، إذ تحتوي كل دراساته تحليلات بمختلف المناهج كدراسته هذه اعتقاداً منه إن أحادية المنهج عاجزة عن بلوغ الغاية المطلوبة من النقد. إن هذه الجهود النقدية المعروضة ولو باختصار تمثل محاولات دفعت بالنقد الروائي العربي إلى ممارسة النقد البنيوي ، اعتباراً من بنيويين سبى لواء العلمية والموضوعية ، لذلك وجدنا أصحابها الأوروبيين يرون فيها السبل المثل لعلمنة النقد في دراسة الرواية هذه العملية لم ترق للنقاد العربي ولم يقتنع بأن الخطاب الروائي مجرد بنية شكلية لا روح فيها. بل طبيعة النص الروائي العربية وخصوصية التجربة التي أنتجها والتصور للكون والحياة والإنسان الذي يبني عليه الناقد والروائي على السواء مفاهيم لعملية النقدية والإبداعية ، تدفع دوماً إلى البحث عن وسائل أقدر ، تكون نابعة من ذات التصور ، في نقد الناقد العربي الحل في الاستعانة بمناهج مختلفة في دراسة النص الروائي ، البنية ، التي يجمع بينها أو بعضها ، وقد فعل ذلك الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" في أكثر من دراسة نقدية وفي كتابه الخطاب السردي يجمع بين البنيوية والسميائية والإحصاء ، ويبدأ هذه الدراسة بمقدمة مطوأة يطرح فيها إشكالية المنهج النقدي في أسئلة حاول الإجابة عنها ، يجمعها من مناهج النقد ، هو ، بأي منهج نتناول النص الأدبي؟ وبعد نقاش يجريه مع مختلف المناهج الحديثة وأصحابها يقول: "ذلك بأنه أصبح من المفروض ، بل من المفروغ منه أن تحلل نص سردي معقد ، غني عميق متشعب العناصر متعدد الشخصيات ... أي عالم بدون حدود و أفق بلا نهاية ، لا يمكن أن يستوفيه حقه منهج يقوم على أحادية الخطة والرؤية والأدوات والإجراءات ، كأن يكون أسلوبياً فقط أو بنيوياً فقط أو حتى بنيوياً أسلوبياً أو اجتماعياً فقط أو حتى اجتماعياً بنيوياً أو نفسياً فقط أو حتى اجتماعياً أو نفسياً بنيوياً فقط".²¹ ويرجع السبب في كل ذلك إلى طبيعة النص الروائي المرنة التي تجمع بين عاطفة صاحبها وثقافته وفلسفته وأيديولوجيته

وبين الطريقة الفنية في التواصل والتبليغ، من أجل هذا التعقيد يرى أنه لا يتأت لأى محلل التصدي للنص الروائي وبلوغ أهدافه إذا تعصب على نهج تحليلي قائم في شكل منهج أحادي الرؤية. "22" وذلك السبب يلح على الناقدة اليمنى العيد بتحليل الخارج الكامن في الداخل، فالرواية العربية كما تراها تحاول: "ان تتميز لا بالحكاية باعتبار طابعها المحلي(الحدث، المكان، هوية الشخصية الاجتماعية) بل بخلق نمط يتشكل به المحكي في خطاب روائي قادر على البوح فنيا، أي روائيا عن لولاته، من هنا تبدو أهمية الكشف عن التميز بتحليل ينزل إلى عمق العلائق الدلالية ليستتبط مدلولاته و يؤول خصائص الدوال في ما تراه ربما تميز عليه، ولا يكتف برصد وظائفها القائمة على المستوى الظاهر للخطاب"23، وكذا تدفع الناقدة إلى تطعيم المنهج البنيوي بالبعد السوسولوجي مع تأكيدها على دلالة البنية الثقافية داخل النص. وحتى الناقد "سعيد يقطين" تلح عليه أسئلته الثقافية والاجتماعية الخاصة بالرفع العربي بتجاوز المستوى النحوي للنص إلى المستوى الدلالي، للإجابة على أسئلته السطحية، وتبين لنا أن النقاد لا يخلطون بين المناهج، بل يقومون بعملية التركيب عن وعي مسبق بما يعنونه للأسباب المذكورة. وقد يكون السبب الحقيقي في الجمع بين عدة مناهج هو وعي الناقد العربي بأن الكتابة الروائية العربية ليست هي الكتابة الروائية الغربية، لذلك فهو يختار من السويات والمفاهيم النقدية ما يمكنه من تحليل التجربة الإبداعية لواقع يعرفه، وهو دوما لا يترك خيارا في الاستفادة من المناهج الغربية، لأن النقد الروائي العربي عمره الحديث قصير، إذا قيس بعمر نظيره الغربي كونه مرتبط به على الدوام.

الخلاصة:

و الراجح أن الدارسين لا يختلفون في كون النقد العربي الحديث قد بدأ متأثراً بالنقد الغربي بعد اطلاع النقاد العرب على مختلف التيارات النقدية الغربية وإقبالهم عليها يأخذون منها ثم يمارسونها ،متناولين النصوص الإبداعية العربية ، محاولين إنشاء مناهج عربية موازية، هي نتاج المناهج الغربية مع بعض التغيير لتناسب صيغة الإبداع المحلي ،لأن الأدب ظاهرة لها طبيعتها الخاصة التي تمكنها من اتخاذ مكان خاص بها لا يمكن تجاهله بسبب التثبيك الذي تشارك فيه عدة عناصر ذاتية وموضوعية يصنعها المبدع والقارئ انطلاقاً من الوعي السائد و المحيط الاجتماعي والبعد التاريخي ، وليس ذلك بالأمر الثابت بل هو أكثر العناصر حركة لا يلوي على حال ،نجده من فترة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر ،ومن جماعة إلى جماعة،وهذا ما دفع كما سبق الذكر بالناقد "عبد المالك مرتاض" إلى اعتبار المنهج الواحد عاجز عن تناول النص انطلاقاً من رؤية أحادية ،لذلك اندفع النقاد العرب وهم تتاولون الخطاب الروائي بالدرس إلى تجاوز المنهج البنيوي والاستعانة بمناهج أخرى ،بسبب وطبيعة الرواية العربية. وهنا علينا أن نتساءل: هل يمكن أن نتخلص كقول نقده من المعطيات الغربية النقدية و الإبداعية المختلفة ،وهي التي تشكلت رجباً -معظم النقاد العرب؟.

الهوامش:

- 1- يمى العيد: في معرفة النص دار الأفاق الجديدة بيروت ط1983، 1 ص: 35
- 2- يمى العيد: دلالات النمط السردى في الخطاب الروائى تحليل لرواية رحلة غاندى الصغير الملقى الدولي الأول حول السميائية في النص الأدبى 1995 معهد اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة، الجزائر
- 3- يمى العيد: تقنيات السرد الروائى في ضوء المنهج البنيوي دار الفرابى بيروت ط1990، 1 ص: 2
- 4- يمى العيد: معرفة النص: ص: 37
- 5- المرجع نفسه ص: 38
- 6- الرج: نفسه ص: 39
- 7- المرجع نفسه ص: 40
- 8- يمى العيد دلالات النمط السردى في خطاب الروائى تحليل رواية رحلة غاندى الصغير
- 9- يمى العيد: في معرفة النص ص: 12
- 10- سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لتثنية جيب محفوظ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984 ص: 11
- 11- المرجع نفسه ص: 12
- 12- المرجع نفسه ص: 14
- 13- المرجع نفسه ص: 21
- 14- حميد لحميدانى: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى المركز الثقافى العربى ط2، 1993 ص: 123
- 15- المرجع نفسه ص: 123
- 16- سعيد يقطين: القراءة والتجربة دار الثقافة ط1، 185 ص: 9
- 17- المرجع نفسه ص: 9

- 18- المرجع نفسه ص 9
- 19- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سمائية مركبة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص17
- 20- المرجع نفسه ص18
- 21- المرجع نفسه ص28
- 22 - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ص90
- 23- نفس المرجع ص10

Mokarabat